مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية
Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/65

ر ت م د: 1112-685x
ر ت م د إ: 2588-2236

المجلد: 15 / العدد: 01 / جـــوان 2022
ص ص: 136 ـ 157

الوعي بالهرمينوطيقا في الخطاب الفلسفي الجزائري: قراءة في المفاهيم والمرجعيات المعرفية

Awareness of Hermeneutic in Algerian philosophical discourse: Reading in concepts and cognitive references

عســال جــويني*
جامعــة العــربي التبسي
تبســة / الجزائــر
Assel.jouini@univ-tebessa.dz

تاريخ الارسال: 2021/09/23 تاريخ القبول: 2022/05/16 تاريخ النشر: 2022/06/10

الملخص:

إنّ الثورة المنهجية التي حدثت على مستوى الأجهزة المفاهيمية وأدوات القراءة وآليات تفكيك الخطاب والحفر في الأنساق المعرفية، ولّدت رؤية إبستيمولوجية ومنظومة تأويلية لها القدرة على تعرية الدوال من الداخل وإعادة تشكيلها، فكانت الهيرمينوطيقا منهجاً وفلسفة ووعياً معرفياً أسهمت في الدفع بالعقل إلى أقصى حدود النقد والتحليل.

وقد تلقى الخطاب الفلسفي الجزائري- في حواره المعرفي- المشروع الهرمينوطيقي وتعاطى مع نظامه الفكري واشتغل على أسئلة الفهم والمعنى، ممّا أفضى إلى تفكيك المفاهيم والمرجعيات ومساءلة المنظومة الفلسفية والآليات التي اتكأ عليها العقل النقدي الغربي في حواره التأويلي ومراجعاته الفكرية، وعلاقته بالفهم والظواهر والأشياء وإعادة تفسير الخطاب وبنائه وفق المنظور الهيرمينوطيقي والوعي الإبستيمولوجي.

الكلمات المفتاحية: الهيرمينوطيقا، المنهج، النقد، الخطاب.

Abstract:

The methodological revolution that took place at the level of conceptual devices ، reading tools ، mechanisms for deconstructing discourse and digging

* **المؤلف المرسل.**

into cognitive patterns ، generated an epistemological vision and an interpretive system that has the ability to expose functions from within and reshape them.

The Algerian philosophical discourse - in its cognitive dialogue - received the hermeneutic project and dealt with its intellectual system and worked on questions of understanding and meaning ، which led to the dismantling of concepts and references and the questioning of the philosophical system and mechanisms on which the western critical mind relied in its interpretive dialogue and intellectual reviews ، and its relationship to understanding ، phenomena and things and reinterpretation of the discourse And its construction according to the hermeneutic perspective and epistemological awareness.

Key words: Hermeneutics ، Method ، Criticism ، Discourse.

مقدمـة:

يطرح السؤال الفلسفي المعاصر إشكالية مفاهيمية تتعلق بقراءة الخطابات والنصوص والتعاطي مع المنظومات الفكرية وتعرية نظامها المعرفي وتفكيك نسقها الثقافي.

حيث إن الاشتغال على الخطابات والحوار المنهجي معها يتطلب وعياً بحدود القراءة وأدوات الحفر الجينيالوجي والأجهزة المفاهيمية القادرة على الحفر والتأويل والتفكيك، إذ تشكّل سؤال النقد والبحث عن المعنى مع اصطدام الإنسان بالنص، ممّا أفضى إلى امتلاك المقولات النقدية والرؤيوية الملائمة لضبط الوعي القرائي والمنهجية العلمية التي تمكّنه من اختراق حدود النصوص والخطابات وتفجير الدوال من الداخل لفهم سياقاتها وتشكّلاتها ومداراتها الفكرية والدلالية.

من هنا كان الاتكاء على المنهج واستحضار الأدوات النقدية أمراً ضرورياً للدفع بحدود القراءة نحو فضاءات الاحتمال والتنوع والاختلاف، فمع الثورات المعرفية وإفرازات الحداثة وما بعدها امتلك الإنسان الآليات القادرة على فهم النصوص والخطابات وتأويلها ونقدها، فكانت الهرمينوطيقا الجهاز المفاهيمي القادر على إحداث شروخ دلالية وتمزيق الدلالة وجعلها تتشظى إلى أنوية معرفية غير منتهية.

وقد كان الناقد الجزائري في تحولاته المنهجية والإبستيمية واعياً بضرورة مساءلة الآخر والتعاطي مع منجزاته، نظرياً وإجرائياً، حيث أنجز خطابات حول الهيرمينوطيقا من خلال المؤلفات والكتابات النقدية الأكاديمية محاولاً في ذلك فهم المنظومة المعرفية لهذا المنهج ومقولاته الفكرية الكبرى التي يستند إليها أثناء عمليات التأويل والحفر في الأنساق

والنصوص، كونه يمتلك الفعالية النقدية في الكشف عن المسكوت والمضمر والمغيّب وراء الدلالة العائمة، على الرغم من أنّ التعاطي مع هذا المنهج يتطلب وعياً معرفياً بالخلفيات الفلسفية والمرجعيات الفكرية التي يتكئ عليها.

والمتتبع لما ألّف حول الهيرمينوطيقا في الخطاب النقدي الجزائري يجد أن الوعي بفلسفتها وجهازها المفاهيمي يطغى عليه الطابع النظري، وذلك لتداخل حقول معرفية كبرى مع هذا المنهج بعضها يرتبط بإفرازات الحداثة الغربية وسياقاتها الفكرية وتعرية الخطابات وإعادة قراءتها استناداً إلى التفكيك والحفر والسيميائيات التأويلية ونظريات القراءة، وبعضها يستند إلى المنظومة التراثية كالتفسير والشروح ..ولهذا فإنّ التعاطي مع الهيرمينوطيقا شكّل قلقاً منهجياً، ممّا جعل الفعل النظري يشكّل الحدود التأسيسية للهيرمينوطيقا باعتبار الاختلاف الرؤيوي والاضطراب المفاهيمي.

وعلى هذا الأساس فإنّ الإشكال المعرفي يرتبط أساساً بحدود الفهم والترجمة والتعاطي مع المصطلحات والمقولات الفكرية والرؤية المنهجية، ممّا جعل الفعل الإجرائي قائماً على التداخل بين الحقول المعرفية المختلفة والمتقاطعة مع الهيرمينوطيقا.

1. الهرمينوطيقا الغربية: حدود الوعي الإبستيمولوجي

أ. الفعل الهرمينوطيقي وبدابات التأسيس:

ظل الإنسان في علاقته بالخطاب يبحث عن السؤال المنهجي المناسب لفعل القراءة، فمارس صنوفاً من الفهم والشرح والتفسير، واستنفذ أدوات القول، ممّا حتّم عليه البحث عن أجهزة مفاهيمية جديدة لها القدرة على اختراق الخطاب وتفكيكه من الداخل وتأويل بياضاته وفراغاته الدلالية، فكان فن التأويل أحد هذه الأدوات الفاعلة، على الرغم من أنه ارتبط في بدايات تشكّله بفعل الإبلاغ الحرفي لا الحفر الدلالي .

ولهذا «فقد اعتبر هرمس Hermes رسول الآلهة إلى البشر، كما أنّ الأوصاف التي دلّ عليها هوميروس تظهر غالباً أنّه هرمس يبلغ حرفياً وينجز كلاماً ما وكّل بتبليغه »[1]، مع أن الهرمينوطيقا كفعل منهجي يؤسس للدلالة الغائبة والتي تقتضي إرادة فهم، وقد تشكّل وعي بناء المعنى المؤجّل انطلاقاً من ضرورة فهم النص المقدّس باعتباره منفتحاً على التعدّد الدلالي .

وبالتالي « تدلّ الهيرمينوطيقا في علم اللّاهوت (الثيولوجيا) على فن تأويل وترجمة الكتاب المقدّس (الأسفار المقدسة) بدقة، فهو في الواقع مشروع قديم أنشأه وأداره آباء الكنيسة بوعي منهجي دقيق، وعلى وجه الخصوص عند القديس أوغستين في مؤلفه "العقيدة المسيحية" Doctrina Christiana»[2]. حيث ارتبط العمل الهرمينوطيقي بفعل الفهم وفلسفة التلقي، ممّا يؤكد على أن الهدف من الخطاب هو قدرته على التجلي الكامل، والحضور الذهني .

وعلى هذا الأساس « كانت جهود شلايرماخر التأويلية ترمي إلى تحويل الفهم إلى علم منظّم، وذلك بتنظيم الملاحظات المتفرّقة في وحدة متماسكة منهجياً، فالفهم في رأيه يجري وفقاً لقوانين يمكن اكتشافها والتصريح بها. ولم يقتصر طموح شلايرماخر على وضع مجموعة من القواعد كما كان الحال في مبحث التأويل القديم، بل يرمي إلى كشف القوانين التي يعمل بها الفهم، وتحويل مبحث الفهم برمته إلى علم منهجي يمكن أن يرشدنا في عملية استخلاص المعنى من نص ما»[3]، انطلاقاً من القدرة على استدعاء الدلالات المغيبة في اللغة باعتبارها مركز العمل التأويلي، واعتماداً على الجهاز المفاهيمي القادر على الدفع بالقراءة إلى أقصى حدودها، ممّا يجل الدلالة مشتتّة وعائمة بتعبير دريدا، «وفي هذا الإطار وضع شلايرماخر جانبين أساسيين في تأويل النصوص، جانب يشير إلى اللغة بكاملها، ويشير في جانبه النفسي إلى الفكر الذاتي لمبدعه، وأنّ العلاقة بين الجانبين علاقة جدلية، منطلقاً شلايرماخر لوضع قواعد الفهم من خلال تصوره لجانبي النص اللغوي والنفسي»[4] ممّا يتطلب وعيا باللغة وعوالمها الدلالية، وفهماً لطبيعة التكوين النفسي، ولهذا يركز شلايرماخر على الفهم الذي يستدعي تأويلاً مضبوطاً في حدود العلاقة بين النص والمؤلف.

حيث إنّه « في المراحل المبكّرة من تطور شلايرماخر كان التأويل عنده متمركزاً على اللغة »[5]، حيث يصبح البحث عن المعيار القرائي داخل دائرة اللغة، إذ هي المعنية بعمليات تفكيك أبنيتها الدالة باعتبارها عالماً من الشفرات والرموز وهو الوعي الباطن بضوابط اللغة وأنظمتها الفكرية والجمالية، وعلاقتها بالتأويل النفسي، «وبذلك كانت قضية التأويل عنده قائمة على أساس نفسي الذي يكون على قدم مساواة مع التأويل النحوي، فاستند التأويل النحوي على خصائص الخطاب لثقافة ما، والتأويل النفسي (التقني) إلى فردية أو عبقرية مقصدية الكاتب»[6]، هذا فإن التأويل في مراحله الأولى لم يلغِ المؤلف كونه جزءاً من

عمليات الفهم في حدودها الباطنية، لذا فالفهم في التصور الفلسفي لا يفصل الضوابط اللغوية عن الواقع النفسي، و « أنه في مجال التأويل لا شيء نبدأ منه غير اللغة ولا شيء ننتهي إليه غير اللغة، وما من شيء موضوعي أو ذاتي نبتغيه إلاّ هو كامن في اللغة وينبغي أن يتلمس في اللغة »[7]، وقد كانت الفهوم التي انطلق منها شلايرماخر مرتبطة بوعيه الفلسفي والفكري و« لقد رأى أن مهمته هي التوسط بين باطنية الفلسفة التأملية الترنسندنتالية وبين ظاهرية العلم الإمبريقي الوضعي »[8]، حيث غدا الوعي الهرمينوطيقي مرتبطاً بفهم النص وتفكيك اللغة وتجاوز الطرح الظاهري والرؤية التقليدية للتأويل« إنّ التأويلية القديمة تأويلية للموضوع وللفهم المعياري المعطى الذي يتعلّق الأمر بالرجوع إليه كلّما أشكل المعنى أو استشكل، وكلّما تناقض مع المعطى الأصلي، التأويلية القديمة هي تأويلية السياق وتأويلية العادة وتأويلية قواعد القول التي ينبغي تجنّب الخروج عنها »[9]، «، إذ إن، « مهمة الهرمينوطيقا إذن هي أن تتجاوز اللغة لكي تقف على العملية الداخلية »[10]، أي أنها تشتغل على الخطاب مهما كان نوعه .

و « التأويلية فلسفة مابعد حداثية كذلك، لأنّها تربط الوجود باللغة ربطاً ذاتياً عن طريق الوجود بمصير الإنسان الذي يملك ناصية اللغة، اللغة أصبح لها ثقل أنطولوجي، لأنّ الوجود صار انعكاساً للغة وليس العكس »[11]، حيث يتمّ تفسير العالم باللغة برمزيتها وانفتاحها على الذات والوجود، « إنّ تحويل الوجود إلى لغة عن طريق تحويل اللغة إلى وجود، جعل الوجود عبارة عن تأويل، عبارة عن قصص ومجازات ورموز وعلامات تنتظر من يؤولها، ويكشف عن معناها »[12]، وبهذا التصور تجاوز الطرح التأويلي الأبعاد التيولوجية إلى كل أشكال الخطابات والنصوص .

حيث لم تعد القراءة الهرمينوطيقية تقتصر على النص الديني، بل تعدّته إلى جميع أنواع النصوص، « إذ أنّ شلايرماخر يرى أنّ الهرمينوطيقا ما عادت مشغولة بفكّ شفرة معنى معين، أو بإزاحة العقبات من طريق الفهم السليم، بل معنية قبل كل شيء بإضاءة الشروط اللازمة للفهم وأنماط التأويل»[13]، واكتساب الآليات القادرة على إرساء منظومة تأويلية فاعلة، أو تشكيل جهاز مفاهيمي يمكنه اختراق النصوص من الداخل والدفع بها نحو أقاصي الإفصاح والتجلي الدلالي، ولهذا يمكن القول «إن الفهم يمثّل للقراءة ما تمثّله واقعة الخطاب بالنسبة لنطق الخطاب، وإنّ التفسير للقراءة يمثل ما يمثّله الاستقلال

النصّي واللفظي للمعنى الموضوعي للخطاب»[14]، حيث تتطابق القراءة كعمل تأويلي مع الكتابة في نظر بول ريكور وهو ما يشكّل وعياً بالخطاب في حدود التأويل النصي، ممّا يجعل الرؤيــة مختلفة مع الطرح الذي قدّمه شلايرماخر حول العلاقة بين اللغوي والنفسي، «لقد نظــر شلايرماخــر إلى الهرمنيوطيقا بوصفها فن الفهم إلى الحد الذي يتصاعد فيه الفهم ليصبح فنّاً للحقل المعرفي »[15]، في تماس مع النفسي الباطني وفي ضبط الحدود الدالة بينهما، «وبالنتيجة ليس السبب في مشكلة التأويل هو عدم إمكان نقل التجربة النفسية للمؤلف، بل يكمن السبب في طبيعة القصد اللفظي للنص، ويدلّ تخطي المعنى للقصد على أنّ الفهم يحدث في فضاء غير نفسي، بل دلالي، نحت فيه النص نفسه منفصلاً عن القصد العقلي لمؤلفه»[16]، ممّا يؤكد على أن الفعل التأويلي يصطدم بالخطاب مباشرة وهو لا يعنيه ما يقوله النفسي، بل ما ينتجه اللفظ ويبنيه النص، ويدفع به إلى أقاصي التدليل والتعدد الدلالي.

في حين يرى دلتاي أن العمل الهرمينوطيقي يتجاوز الطروحات اللغوية التي اتكأ عليها شلايرماخر، ليربط التأويل بالحياة الإنسانية وبقدرة الإنسان على الإحاطة بما يجري حوله من تحولات.

و«لقد ميّز دلتاي التعبير من التعبير عن الحياة "، وعدّ الأول رتبة الموضوعات الهرمنيوطيقية التي تحمل معنى مستقلاً عن الأفراد الذين أنتجوها .وهذه قد تعني تعقيدات مثل النظم القانونية والاقتصادية التي تنتج عن التفاعلات الإنسانية، أو الأعمال الفنية التي اعتقد دلتاي أنها أسمى أشكال التعبير .ويصبح الفهم في العلوم الإنسانية شكلياً ومنهجياً حالماً يتجه نحو مرتبة محدّدة من الموضوعات الهرمنيوطيقية .ويصبح الفهم تفسيراً في سياق العمل الاعتيادي للإنسانوي »[17]، على هذا الأساس يعتبر دلتاي الفعل التأويلي يحمل أطروحة الحياة وفهم التصور الذاتي التاريخاني لما هو مجسّد ومكتوب.

لقد «بقي دلتاي يؤكد أنّ الهرمنيوطيقا هي فن وعلم للفهم والتأويل، ولهذا فهو يرى أن مهمّة الهرمنيوطيقا، بوصفها مهمة نبعت في حقول علوم الإنسان، هي أن تجعل من الفهم والتأويل موضوع التحليل المعرفي »[18]، مع أن الوعي الهرمينوطيقي هو مرحلة بناء الفهم الواعي للظواهر.

ب. الهيرمينوطيقا والفهم الإبستيمولوجي :

إن قيام طرح هرمينيوطيقي يمتدّ إلى أطروحات إدموند هوسرل على الرغم من أنه يختلف في فلسفته مع كثير من الفلاسفة من أمثال دلتاي وهيدغر، ومع ذلك فإنّ أطروحاته حول "الفهم" اعتبرت أرضية إبستيمية للتفكير الهرمينوطيقي، و«أنّ تلاميذ هوسرل الأكثر ارتباطاً بالهرمينوطيقا، أي هيدغر، ريكور وغادامير قد تصوروا ظاهرة الفهم وفق الأنموذج الذي قدّمه لهم ومؤدّاه أنّ الفهم يعني الصعود تدريجياً من القول إلى المعنى الذي يسكنه»[19]، وذلك بالرجوع والعودة إلى الشيء كما هو أو الاختزال الفينيمولوجي، وردّ الظواهر إلى طبيعتها الأولى، وتجاوز الطرح القصدي. «هكذا نجد هوسرل في نصوصه النظرية الأكثر تأثراً بمثالية تذكرنا تذكرنا بمثالية فيخته، يفهم الظاهراتية على أنّها ليس فقط منهجاً للوصف الجوهري لتمفصلات التجربة الأساسية (الإدراكية) الخيالية، التعقلية، الإرادية، الخلاقية)، بل بوصفها تأسيساً ذاتياً جذرياً داخل الوضوح العقلي الأكثر اكتمالاً»[20]، إذ تتحول التجربة -حسبه- إلى واقعة متعلقة بالإدراك الذاتي، ولهذا أشار إلى الاختزال الفينومينولوجي أو التأمل الخاص، باعتباره مرجعاً لكل قدرة تأويلية تتنزل خارج التاريخ.

و« إنّ من أكبر الاستحقاقات الهرمينوطيقية لهوسرل هو عدم اختزال المعنى داخل الاتجاه القصدي للموضوع، فالموضوع لا يفعل شيئاً سوى أن يقوم بالتشارك في تشكيل المعنى الذي يولد معه، في الوقت الذي تظل فيه الأنا في حوار دائم مع معنى لم يحدث وإن تملكته مطلقاً»[21]، فكل قراءة هرمينوطيقية تسعى دائماً إلى تأجيل الدلالة وتغييبها، ممّا يسمح بدفع الدّال إلى التعدّد والتشتيت والغياب بالمفهوم الدريدي، و«إنّ النص موضوع التأويل نسيج ما لم يقل أو المسكوت عنه والفضاءات البيضاء أو الفجوات التي يجب ملؤها، ومنتجه ينتظر ملأها، وقد تركها لسببين :أولهما أنّ النص إوالية تعيش على فائض قيمة المعنى المنتج من طرف المتلقي، وثانيهما لترك المبادرة للقارئ لنقل النص من الوظيفة التعليمية إلى الوظيفة الجمالية»[22]، وهذه الرؤية النقدية تؤسّس لفعل القراءة باعتباره متوالية هندسية من المعنى المؤجل، وهو ما تشتغل عليه نظريات القراءة والتلقي.

و«من هنا أهمية أن تقوم فينومينولوجيا هوسرل باستكشاف طبقات القصدية أوالمراحل المختلفة لتشكّل المعنى الذي ينفلت من قبضة الشعورين المباشر والطبيعي على

حدّ سواء »[23]. وهو ما يجعل من إعادة التشكيل بناء للاختزال والرد الفينومينولوجي، وهذه مهمة القراءة التأويلية وحدها القادرة على الاختراق وتفكيك أبنية الخطاب وفهم المراجع المساندة لها.

في حين أن هايدغر يتجاوز هذه الطروحات المرتبطة بحدود الفهم والتفسير، إلى الإشكال الوجودي، «وهنا يكمن مقصد هيدغر الذي انصب اهتمامه على الأساس الأنطولوجي لنظرية الهيرمينوطيقا الحديثة، أي على جذورها العميقة، وهكذا نجده يذهب وراء السؤال عن كيفية الفهم إلى السؤال عن الكينونة نفسها»[24]، إذ يتجاوز هايدغر الأطروحات التقليدية حول المعنى إلى سؤال الكينونة أو الدازاين. ولعل الأمر نفسه مع هوسرل في تصوراته الهيرمينوطيقية، «الذي سعى إلى تحرير التفكير الفلسفي من كل المنظومات والتوقعات والتقديرات والعودة إلى الأشياء بذاتها، إنه انتقال بمعنى ما من الفكروية إلى الوجودية »[25]، حيث لم يعد الفعل الهيرمينوطيقي مرتبطاً بكينونة النص، بل بكينونة الذات.

وعليه فإنّ السؤال المعرفي المركزي «من هنا أهمية أن تقوم فينومينولوجيا هوسرل باستكشاف طبقات القصدية أو المراحل المختلفة لتشكّل المعنى الذي ينفلت من قبضة الشعورين المباشر والطبيعي على حدّ سواء»[26]، حيث يظل الاختزال الدلالي والفينومينولوجي هدفاً للفهم، «وعليه فإنّ مشكل التشكّل عند هوسرل لا يرمي إلاّ إلى إعادة تشكيل أفق المعنى لكل ما قد يكون هدفاً للشعور القصدي »[27]، هذه الإعادة التأويلية تقوم على فعل التأجيل للدلالة القصدية المرتبطة بأفعال القول وبناء وعي قرائي منفتح على التنوع والتلاشي والإرجاء.

وتشتغل الهيرمينوطيقا الحديثة في علاقتها بمنظومة الخطاب وسياقه التاريخي بوحدة النص، حيث « تفترض فينومينولوجيا هسرل شأنها شأن الهرمنيوطيقا الرومانسية عند شلايرماخر ودلتاي أننا لكي نصل إلى تأويل سديد للموضوع يلزمنا سياق صحيح أو إطار ذهني، غير أنها لا تحفل بالأطر الخارجية التاريخية والثقافية، وترى أنّ النص يعكس إطاره الذهني »[28]، بمعنى أنها تمارس الردّ الظاهراتي وجعل الدلالة خارج السياق التاريخي، ومرتبطة بالظاهرة كوجود معزول عن تحولات الإطار التاريخاني، وقد ارتبط الوعي الهيرمينوطيقي بالنص ومنظوره المضاد كما في الدائرة التأويلية التقليدية «ويعني هذا أنّ

تأويل النص يكمن في إعادة بناء سياقه الأصلي وإعادة تجريب معناه الأصلي عن طريق انتقال الذات المؤولة من سياقها الثقافي الخاص إلى سياق النص المعاد بناؤه»[29]، في حين انتقل الوعي بالتأويل إلى مرحلة الأفق التاريخي كما هو مع غادامير.

انطلق هايدغر في أبحاثه الفلسفية للبحث عن الأطر المنهجية والآليات الذهنية القادرة على تأسيس وعي هرمينوطيقي يفرض حدوده الإبستيمية، ويؤسّس لمنظومة مفاهيمية جديدة تستوعب الحركية التاريخية وما أنتجه العقل الغربي وفكّر فيه، « وجد هايدغر في فينومينولوجيا إدموند هسرل أدوات تصوّرية لم تكن متاحة لدلتاي أو نيتشه، ووجد فيها منهجاً يمكن أن يسلط الضوء على كينونة الوجود الإنساني بطريقة يمكن للمرء بها أن يكشف النقاب عن الوجود ذاته لا عن مجرّد أهوائه وتحيّزاته وأيديولوجيته»[30]، حيث مهّدت فينومينولوجيا هوسرل لقيام منظومة تأويلية لها نظامها المعرفي والمنهجي، تشتغل وفق منظور انفصال الفهم عن الذات وارتباطها بالأفق التاريخي القادر على إقامة فعل هيرمينوطيقي يندمج فيه النص والسياق والذات والتاريخ، «إنّ الفهم ليس سلوكاً موغلاً في الذاتية، بل هناك أفق للفهم يحدده التاريخ وفي كل عملية فهم، وهي المسار الطبيعي نحو إطلاق العنان لسيرورة التأويل، يجب استحضار قوانين النص وقوانين السياق، أي مجمل المعارف والأحكام المسبقة التي يمكن للنص الإحالة عليها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، لأنّ تأويل النص لا يمكن أن ينفصل عن الأحكام المسبقة التي تنتج عن الارتباط التاريخي للذات وعن استمرارية التقاليد أو التراث»[31]، حيث تصبح أي قراءة تأويلية خاضعة للشرط التاريخي، وهو ما أقامت عليه الفلسفة الظاهراتية فهومها للخطاب.

وقد جعلت هذه التصورات هايدغر يؤسس لأطروحاته الفينومينولوجية الهيرمينوطيقية، « صحيح أن هايدغر قد أخذ الكثير عن هوسرل، وأنّ كثرة مدهشة من تصوراته المبكرة تعود إلى أستاذه غير أنه وضع هذه التصورات في سياق جديد وفي خدمة غرض مختلف»[32]، حيث غيّر هايدغر من الطرح الفينومينولوجي والمنظومة المنهجية مؤسّساً للدازاين باعتباره يمثّل المنظور التأويلي، في حين التصور الهيرمينوطيقي عند غادامير يقوم على الفصل بين الفهم كوعي قائم بين الحقيقة وأدوات التأويل، ولذا فإنّ هيرمينوطيقا غادادير «لا مجرد تفكير من الدرجة الثانية يتعلق بتفسير L' exégèse، وهي تسعى إلى إبراز العنصر المشترك بين كل أنماط الفهم، وإلى إعلان أنّ الفهم ليس بسلوك

ذاتي تجاه موضوع، بل هو ينتمي إلى وجود ما هو قابل للفهم »[33]، من هذا المنظور فإنّ المقاربات التأويلية فعل يدمّر الحقيقة التي يبيحها النص في علاقته بالمنهج.

وعلى هذا الأساس كانت الهيرمينوطيقا الحديثة منطلقاً معرفياً أسّس للفهم كمنظومة للاشتغال على الخطابات، ممّا جعل هايدغر يتجاوز المقولات التقليدية، حيث«أعاد النظر في مفهوم الفينومينولوجيا ذاته، بحيث أخذت الفينومينولوجيا والمنهج الفينومينولوجي عنده طابعاً مختلفاً اختلافاً جذرياً»[34].

فما اشتغل عليه هوسرل ضمن الوعي الفينومينولوجي، اعتبره هيدغر أطروحة لقيام الفعل التأويلي ومدارات المنهج، حيث لم ترد الهرمينوطيقا كمصطلح في كتابات هوسرل، ولم تتم الإشارة إلى هذه المنظومة الفلسفية، « فلم يسبق قط لهوسرل أن استخدم هذه اللفظة في الإشارة إلى عمله، بينما صرّح هيدغر في "الوجود والزمان " بأنّ الأبعاد الأصيلة لأي منهج فينومينولوجي تجعله هرمنيوطيقياً بالضرورة»[35].

إنّ هذه الاختلافات المفاهيمية أساسها الطرح الفكري والمنطلقات المعرفية في تحديد وضبط الإشكال القائم حول آليات فهم الخطاب وتفكيك نظامه اللغوي، ممّا يؤكد على أنّ هايدغر وهوسرل ينطلقان من فرضيات مختلفة، « أراد هسرل للفلسفة أن تكون علماً صارماً - تجريبية عليا .أمّا هيدغر فكان يرى أنّ كل ما بالوجود من صرامة لا يمكن أن يجعل من المعرفة العلمية غاية نهائية »[36]، فالمنطلقات والمبادئ الجوهرية التي انطلق منها هوسرل ترتبط بالإطار التاريخاني، إذ لا يعدو الفعل الهرمينوطيقي كونه وعياً لصيقاً بالقصدية والمعطى الشعوري و «هذا الارتباط المتبادل بين القصد والمعطى هو ما ينبغي للهرمينوطيقا أو للفينومينولوجيا (بتعبير هوسرل) أنّ تظهره للعلن، بما أنّها تعني العودة إلى الأشياء ذاتها إلى القصدية، وهو ما قد تسميه الفينومينولوجيا هرمينوطيقا»[37]، حيث ربط هيدغر بين الهرمينوطيقا والكينونة واعتبر التصور الفينومينولوجي للهرمينوطيقا لم يتعدّ الوصف الخارجي للأشياء .

و«مفاد ذلك أنّ الهرمينوطيقا التي وعدت بأن تكرّس كل مجهوداتها للإبانة عمّا هو غير معطى ألا وهو الكائن(الكينونة)، توجد في مواجهة منهجية وصفية لا تتعدّى ظواهر الأشياء»[38]، وهو ما حدا بهيدغر أن يؤكد على أنّ القراءة الظاهراتية للأشياء في ذاتها لابدّ أن ترتبط بوعي منهجي لتأسيس فهم صحيح، « فقد قدّم بما يقتضيه الوعي التاريخي وفن

التأويل لكلّ مسألة على حدة ينبغي للفهم الموجّه من طرف الوعي المنهجي أن يعكف ليس فقط على إنجاز تصوراته المسبقة وإنما أن يراقبها بجعله واعية قصد الحصول على فهم صحيح انطلاقاً من الأشياء»[39].

إنّ التأسيس الإبستيمولوجي للأطروحات الهرمينوطيقية تجاوز الأطر المفاهيمية المرتبطة بحقول المعرفة الإنسانية، فمع غادامير ارتبط الوعي التأويلي بمنظومة الإنسان كأنطولوجيا «والهرمينوطيقا ليست فرعاً مساعداً للدراسات الإنسانية، بل هي نشاط فلسفي يحاول تفسير الفهم على أنّه عملية أنطولوجية في الإنسان »[40]، ممّا يؤكد أن غادامير يركز بشكل مكثف على فعل الفهم أكثر من تركيزه على الآليات والمبادئ العامة للمنظومة التأويلية، «إنّ غادامير لا تعنيه كثيراً المشكلات العملية لصياغة المبادئ الصحيحة للتأويل، إنّه يودّ بالأحرى أن يسلّط الضوء على ظاهرة الفهم نفسه، وليس يعني ذلك أنّه ينكر أهمية صياغة مثل هذه المبادئ الضرورية للمباحث التأويلية»[41]، فما يهمّ في الحقل الهيرمينوطيقي هو إشكالات الفهم في حدّ ذاته، وليس الأدوات المنهجية فقط، باعتبار الوعي بضرورة إدراك الظواهر والأشياء مركز العمل التأويلي.

2. الاستقبال المفاهيمي للهرمينوطيقا في الخطاب الفلسفي الجزائري:

أ. تلقي المفاهيم والحفر في المرجعيات المعرفية:

إنّ الانفتاح على المناهج الغربية والتعاطي مع الأطروحات الفكرية في حقول المعرفة المختلفة، جعل الخطاب الفلسفي الجزائري يستثمر في المفاهيم والمقولات ويمارس عليها سؤاله الإبستيمولوجي، حيث أنجزت أبحاث مختلفة قدّمت وعياً معرفياً بالمنهج والرؤية والتصور.

ولعلّ الهيرمينوطيقا أهمّ الحقول المعرفية التي استفاد منها العقل النقدي الجزائري وقدّم تحليلات وشروحات وترجمات وفهماً فلسفياً وحفراً إبستيمولوجياً حول منظومتها وحدودها الفكرية، ففي تحديد وضبط المصطلح بخلفياته المعرفية في الخطاب الفكري الغربي يشتغل الوعي النقدي الجزائري على تحولات الفعل الهيرمينوطيقي ونظامه الفلسفي.

حيث يرى محمد شوقي الزين أنّ «الهيرمينوطيقا عند شلايرماخر هي فن الفهم أي إدراك المعنى المتواري في ثنايا الخطاب .وهذا الفهم يتأرجح بين الدلالة الذاتية أو الفردية

وهو كون كل فرد مسؤول عن الفكرة التي يشكلها حول النص أو الواقع أو الماضي، وبين الدلالة الموضوعية التي تخضع الآراء الفردية لامتحان لغوي صارم قصد الكشف عن الرأي السليم من جملة الآراء المعبّر عنها»[42]، ويرتبط التأويل بإشكالات الفهم، وحدوده والتصورات التي يشكلها ويبنيها القارئ حول النص، وإمكانية القبض على دلالته المغيبة وإعادة بنائه المعرفي وفق الفهم الكامل الموضوعي لا الذاتي.

إنّ هذا -كما يرى محمد شوقي الزين- ما «دفع شلايرماخر إلى تحبيذ التأويل الموضوعي الذي يسعى إلى إعادة بناء المعنى الأصلي للنص بدلاً من التأويل الذاتي الذي يضفي على النص دلالة أو قصدية لم يعبر عنها الكاتب »[43]، التأويل الفعلي في علاقته بالنص عملية حفر للبنية اللغوية وإعادة كتابة ما هو مغيّب وملء الفراغات النصية والبياضات المسكوت عنها واستدعاء الدلالات المؤجلة وفهم الذات المنتجة وليس قراءة شارحــة مسطّحـة، لأنّ «ثمة تفاوت بين الشرح بالمعنى الحصري للفظ، أي تفسير ظاهر النص وبين الهيرمينوطيقا فن الفهم الإجمالي الذي يسائــل لا موضوع البحث فحسب وبل الذات أيضاً المسؤول الأول عن المعرفة»[44]، وهذا ما قمت عليه الفلسفات التأويلية وبخاصة الأطروحات التي تستدعي الذات وانخراطها في وعي الوجود وعلاقتها بإنتاج النصوص والخطابات.

إنّ «تأويل النص هو فتح حوار خلاّق معه وطرح المشكلات والأسئلة حول حقيقته التاريخية والوجودية، لأنّ النص يحتمل فراغات يملؤها القارئ بالأسئلة والإشكالات»[45]، هذا الاشتغال التأويلي على النص يتجاوز الطرح التاريخاني الذي يتبنى السياق في عمليات الفهم، وهو ما ترفضه إرادة الفهم الحقيقي.

والهيرمينوطيقا في بدايات تأسيسها وفي علاقتها بالنصوص الدينية انطلقت من العلاقة بين الذات والنص في عمليات الفهم وإنتاج الدلالة، ولهذا فإنّ « دلتاي انطلق هو الآخر من مشكل الفهم التاريخي .إرادته في نقد العقل التاريخي مكّنته من تدشين تفكير إبستيمولوجي حول العلوم الإنسانية، إذ كان همّه المعرفي هو إيجاد قاعدة علمية تستند إليها الإنسانيات »[46]، حيث إنّ الفهم ظاهرة نفسية تتعلق بمعطى الحياة وكيفيات الإدراك.

ولهذا فإنّ الاتجاهات الهيرمينوطيقية قدّمت الاختلافات المفهومية بين التفسير والفهم في منظورها لقراءة النص وحدوده الجمالية والمعرفية و« يرى دلتاي بروز معضلة

الفهم وليس مشكلة التفسير، لأنّ التفسير يتمتّع بمنهج موضوعي قوامه أدوات لغوية ومنطقية وبحوث نظرية وصورية، بينما الفهم هو ذو طبيعة نفسية وجوّانية، التفسير هو عمليات فردية تفيد التعدّد والتشتت، بينما الفهم هو وحدة نفسية في إدراك دلالة النص أو مغزى الحياة»[47].هذا الأمر هو الذي دفع بهوسرل إلى التفكير الفعلي في إرساء أدوات القراءة الفينومينولوجية التي كانت بمثابة الأرضية الفكرية للدفع بالفعل الهيرمينوطيقي إلى مداه النقدي.ووفقاً لهذا التصور حدّد بول ريكور العلاقة بين فهم الذات وتملك التدليل، و «أنّ فهم دلالة النص العميقة يترافق أو يتزامن مع نوع من فهم الذات لنفسها، لأنّ النص هو الوسيط الذي نستطيع من خلاله فهم ذواتنا، ويحصل هذا الفهم للذات من خلال حيازة المعنى أو تملّكه، وجعله معنى خاصّاً بذات القارئ»[48]، ولعلّ هذا الوعي بالمنطلقات الهيرمينوطيقية هو الذي جعل الكثير من الأطروحات المتعلقة بأدوات التأويل وقراءة النصوص تنشغل بالعلاقة بين فهم الذات العالم وإدراكها لحدود الظاهرة النصية وانخراطها في التاريخ.

يقول عماره ناصر «إنّ الهيرمينوطيقا تأتي لتتوّج الجهد الظاهراتي الهوسرلي في الاستعاضة عن المناهج العلمية في العلوم الإنسانية بمقاربة معرفية أعمق وأشمل وهي تنطلق من فهم الذات والإطاحة بالأوهام المحيطة بها »[49]، لأنّ الوعي التأويلي الصارم للنص هو رؤية ذاتية تستند إلى آليات وجهاز مفاهيمي .حيث يمكن القول «إنّ الهيرمينوطيقا لا تكون فلسفية على نحو ملائم إلاّ بحكم استنادها إلى الفكر الأنطولوجي، ولكن من ناحية أخرى كل ما يبرر تدخل الهيرمينوطيقا يبرر كذلك الأنطولوجيا أو يفرض تأجيلها»[50]، ممّا يؤسس لفلسفة تأملية قائمة على التأمل والإدراك الذاتي.

على هذا الأساس فإنّ هوسرل يشتغل على فكرة الاختزال والتأجيل وإبعاد كل التصورات الذاتية حول الخطاب و «لم يكن همّه المعرفي هو تأويل الظواهر، وإنّما الظواهر ذاتها كما تتبدّى للوعي الإنساني، التأويل هو مجرد تقنية في الوصول إلى جوهر الأشياء أو إلى القصدية المتعالية الكامنة في النص، والفهم بوصفه جوهر التأويل هو الانتقال من العبارة إلى الدافع النفسي أو من الخطاب إلى التساؤل الذي يحرّكه»[51].

ب. إرادة الفهـم والســـؤال الهيرمينـوطيــقي :

يؤكد هايدغر على علاقة الفهم بالوجود الأنطولوجي، وهو ما جعله يربط الكينونة (الدازاين) باللغة، باعتبارها نظاماً تشفيرياً، وحسب عماره ناصر فقد «عمد هايدغر إلى تفكيك مفهوم الذات والتفكير في الأصول الفينومينولوجية والأنطولوجية لظاهرة الفهم .يخلص إلى نتيجة مفادها أنّ الوجود الإنساني هو ((وجود-مؤول)) بمعنى وجود يتجسد في اللغة، على اعتبار أنّ التأويلات هي خطابات لغوية وبناءات على ما تمّ تشكيله في اللغة»[52]، من خلال التفكير بها وفيها، حيث تكون الأدوات والمفاهيم وآليات القراءة منظومة للتأويل واستدعاء المغيّب وإعادة كتابة البياض بشكل فني جمالي.

إنّ هايدغر- كما يرى عبد الغني بارة- « عمل على ردّ الاعتبار للوجود من منظور تأويلي، أي العودة إلى الأشياء في بداياتها الأولى، استقصاءً وفهماً، بعدما أزاحت الذات بتعاليها حقيقته، وقلّلت من فاعليته ودوره في الكشف عن كينونته، بعيداً عن أحكامها المسبقة، وربّما تحيّزاتها وانتماءاتها الإيديولوجية»[53]، في حين يرى غادامير ضرورة استدعاء آفاق التلقي وانصهار الفهوم التاريخية لتشكيل وبناء الحقيقة، وتخطّي الأطروحات الفلسفية، ومواجهة المفاهيم القائمة حول الذات والإنسان.

ولهذا فإنّ غادامير – كما يشير إلى ذلك عبد الغني باره- « تفرّد بدعوته إلى إنشاء أنطولوجيا جديدة، تتجاوز فهم الوجود إلى حدث فهم الفهم، إذ إنّ طموحه كان يتجاوز مجرّد الإسهام في مواصلة ما بدأه سلفه شلايرماخر ودلتاي، فقد سعى إلى إعادة تأويل ومراجعة المشاريع الفلسفية الكبرى، بدءاً من السؤال السقراطي، مروراً بأفلاطون وأرسطو وكانط وديكارت وهيغل وماركس وفرويد، وصولاً إلى السؤال الهيدغري »[54]، من هنا أصبح سؤال الهرمينوطيقا وعياً بضرورة بناء رؤية معرفية جديدة تتبنى التعدد والاختلاف المفهومي « وتمثّل الهرمينوطيقا نشاطاً ذي فعالية لجهد الذات في تحصيل الحقيقة وتخليصها من الوهم الذي تفرضه شروط إسكان هذه الحقيقة في الخطاب المتصل بالكتابة وتوسّط الرموز وغموض العلاقات»[55].

وعلى هذا الأساس فإنّ تحرير الذات من السياقات التاريخية المحيطة بها يجعل القراءة ذات عمق ويصير الفهم وعياً بضرورة الرؤية الكلية للعالم، «فإذا كان الفهم مع مع هيدغر هو نمط وجود، فإنّه مع غادامير، بالإضافة إلى ذلك، بحث في قوانين تشكّل هذا الفهم، على اعتبار أنّ محور الممارسة التأويلية عنده يتمثّل في قضية الفهم، كيف يتحقق

وكيف يكون؟ وكيف يعدّ علامة تميّز الكائن الإنساني عن غيره، بما هو كائن يبحث عبر الفهم، عن معنى ما يسكن دروب الحقيقة بوصفها تجلّياً/تحجّباً »[56]، إذ المعنى دائماً مؤجّل دائماً ومشتّت ومتشظّي إلى دوال جديدة، « إنّ مشروع غادامير التأويلي يقف من العقل الغربي موقف المخلّص الذي يأمل أن يعيد لهذا الإنسان ذاتيته الفردية المسلوبة، لكن مع تناهيها والإقرار بلا تناهي فهم/تأويل أشياء هذا العالم، وهو وإن زعم تجاوزه للمشاريع التي سبقته، فإنّه ينظر إليها بعين الماضي/التراث الذي يجب استرجاعه ليس معانقةً وإحاطةً، بل فهماً /تأويلاً»[57]، أي إعادة قراءة هذا التراث وفق المنظومة الهيرمينوطيقية وآلياتها القائمة على الفهم.

ولهذا كانت أطروحات غادامير تخليص العلوم الأنسانية من سلطة المنهج، إذ « تابع غادامير نقده لقضية المنهج في العلوم الإنسانية داخل ثلاثة حقول تتدرّج بينها التجربة الهرمينوطيقية، ألا وهي: الحقل الجمالي، الحقل التاريخي، الحقل اللغوي »[58]، وذلك لتعرية هذه المجالات من الرؤية الموضوعية الصارمة للعلم، ممّا يؤهل التهيرمينوطيقا للاشتغال على الخطاب بعيداً عن السياج المنهجي، ممّا يفتح آفاق التعدّد الدلالي وتشتيت الدوال، هكذا تكون الهرمينوطيقا باعتبارها فهماً للنص والعالم عكس الرؤية التقليدية القائمة على المعيارية والثبات.

هذا المنحى المعرفي يجعل الهرمينوطيقا« بحثاً في ما قد فُكّر فيه عن اللاّمفكر فيه عبر أفق الانتظار الذي هو إشارة وإحالة مع إمكانية الحيد عن الطريقة، عن المنهج، ويتم الاشتغال على اللغة بالفكر بصفة مباشرة، أي عبر أنطولوجية الفهم»[59]، وإدراك القوانين التي تسيّر عملية التأويل، « فاستحالة العالم إلى نص لا يعد مرحلة نهائية في مستويات الاقتراب من الحقيقة، بل إنّ الحقيقة تصبح أكثر كثافة ورمزية داخل النص لأنّها تستحيل إلى رموز معروضة للفكّ والتأويل وفي النص تعبّر عن تعدّدها وكثرة وجوهها (الحقيقة)، فالرمز مصاحب لكلّ تعبير عن الحقيقة »[60]، وهو ما يؤسسّ لجدلية الحضور/الغياب .

وحيث إنّ «التقاء إرادات الفهم هو حسب غادامير انصهار آفاق الفهم بآفاق التجربة المعيشة أو آفاق التراث .يقترح غادامير أهمية تطوير وتوظيف التصورات المسبقة بعدما استبعدها عصر الأنوار واعتبرها كعائق معرفي يحول دون إدراك الحقيقة»[61]، هذا الأمر نفسه جعل بول ريكور يتخطّى هو الآخر الأطروحات الرومانسية المرتبطة بالمؤلف والقارئ،

ليبني قدرة تأويلية فائقة، حيث«يتجاوز ريكور التراث الرومانسي الذاتوي للهرمينوطيقا الذي كان منصبّاً على قدرة المخاطَب أو القارئ في الانتقال أو الترقي إلى الحياة النفسية للمخاطِب أو المؤلف ويتجاوز أيضاً التراث الموضوعاتي الذي يربط النص بمرجعية واقعية هي الأحداث التي يصفها النص بعد تدوينها في خطابات»[62]، ويجعل من النص انشطاراً في ذوات متعدّدة، حيث ظل الوعي الهيرمينوطيقي لدى ريكور مرتبطاً بالطرح الفينومينولوجي، «على غرار ما فعل هايدغر الذي تقتصر الهيرمينوطيقا لديه على أن تكون أنطولوجيا الفهم، أي أنها تتناول الفهم من حيث إنّه طريقة كينونة وليس من حيث كونه طريقة معرفة»[63]

و« يتحدث ريكور عن كينونة النص الذي يشكّل عالمه أو مرجعيته الخاصّة، وتأويل النص يصبح هو السيرورة التي بواسطتها يتم اكتشاف أنماط وجود جديدة للذات أمام النص»[64]، حيث ينفتح النص أمام إمكانات هائلو من التأويل و« ينطلق ريكور من من إمكانية فينومينولوجية لفهم الذات والكشف عن تكويناتها الأنطولوجية بوصفها الحقائق الأولى التي تبنى عليها الاستدلالات والاستنتاجات »[65]، ممّا يجعل من عمليات الإدراك مرتبطة بفهم الذات وعلاقتها بالعالم .

وفي هذا الصدد «تحدّث ريكور عن كينونة النص الذي يشكّل عالمه أو مرجعيته الخاصّة.وتأويل النص يصبح هو السيرورة التي بواسطتها يتمّ اكتشاف أنماط وجود جديدة للذات أمام النص »[66]، هذا التحول في منظومة التأويل هو الذي غيّر في علاقة القراءة بالنص، من حيث الإمكانات المفتوحة للدلالة، ويواصل ريكور النفاذ إلى المفاهيم وكشف حدود الفهم والتأويل وقضايا الوعي بالهيرمينوطيقا، «ولهذا تحدّث ريكور عن انتقال الدائرة الهيرمينوطيقية من المستوى الذاتي - حيث تكون هناك حركة دائرية بين ذاتية القارئ وذاتية المؤلف- إلى المستوى الأنطولوجي- والمتمثل في العلاقة الدائرية بين عالم القارئ وعالم النص»[67]، أي الكشف عن العوالم النصية وما يومئ إليه الخطاب في حركته الدلالية بعيداً عن قصدية المؤلف، وعلى هذا الأساس، تشتغل الهيرمينوطيقا « بما هي من الفلسفة تلك الرغبة الجامحة والسؤال/العتبة، فإنّها استحالت في مسارات تحولها مصدراً للفهم القلق وعنواناً للجدل الحواري، وحتّى يتأتى لريكور متابعة هذا الإجراء التأسيسي في أدبيات الهرمينوطيقا، فإنه لم يتردّد في القول بوجاهة الطرح الغادامير خاصة مقولة نشاط

التاريخ، وما ترتب عليها من مفاهيم مثل انصهار الآفاق وجدل السؤال والجواب والمسافة الزمنية والمقام التأويلي والوعي التاريخي»[68]،

وعلى هذا الأساس فإنّه «لا ريب أنّ الهرمينوطيقا بما قدّمته من نقد للذات المتعالية وأولويتها تكون قد منحت النص إمكانية أن يكون ذاته ككائن يبوح بسرّ هذا الوجود بما هو وجود في اللغة، كما يسعى وهو في غمار هذه الكينونة أن يقرّب الذات من هذا الوجود من خلال فعل القراءة /الكتابة»[69]، ومن خلال هذا السياق يتقاطع بول ريكور مع غادامير في فلسفته التأويلية وعلاقتها بالوعي التاريخي وحوار الذات في علاقتها بالأشياء.

ويمكن القول أخيراً أنّ الهيرمينوطيقا في الخطاب النقدي الجزائري تموضعت ضمن السؤال الفلسفي المرتبط بالحفر في الخطابات المعرفية الكبرى وتعريتها والحفر الجينيالوجي في أنساقها ومفاهيمها، أكثر من ارتباطها بالفعل النقدي في علاقته بالوعي الجمالي، ذلك أنّ المنظومة الفكرية التي شكّلت الهيرمينوطيقا في محاضنها الأصلية تأسّست ضمن سياقات تاريخية متشابكة في علاقاتها بالنصوص الدينية من جهة والخطابات الفلسفية من جهة ثانية.

وهذا ما جعل الجهاز المفاهيمي يتقاطع مع حقوق معرفية متعددة ومقولات فكرية مختلفة أشرنا إليها سابقاً منها ما هو مرتبط بالتحولات الثقافية في الغرب وبخاصة مع خطاب الحداثة وما بعدها وما أفرزه من مراجعات ومساءلات وإعادة قراءة لتاريخ الفكر الغربي، وهو ما اصطدم بأفهوم فلسفي شكل مصطلحاته ومقولاته.

وعليه فإنّ المنجز الفكري للهيرمينوطيقا في الخطاب النقدي الجزائري ظلّ مرتبطاً بالوعي الفلسفي وإشكالات الترجمة والتعاطي مع المصطلحات والمقولات على الرغم من الطروحات الأكاديمية التي قدّمت رؤية نظرية متميزة حول الفعل الهيرمينوطيقي في الدراسات الغربية.

وقد تلقى الخطاب الفلسفي الجزائري هذه المنظومة المعرفية ومارس معها الحوار الفكري والسؤال الإبستيمولوجي وطغى الفعل النظري على معظم المنجزات باعتبار أنّ الفهم وضبط الحدود المعرفية للمنهج يعدّ مرحلة هامة في التأسيس للمعرفة وبخاصّة إذا كان الأمر مرتبطاً بحقل الهيرمينوطيقا وما ارتبط به -في سياقه التاريخي- من مقولات فلسفية أفرزتها التحولات المعرفية والحضارية في علاقتها بالخطابات المختلفة الدينية والفلسفية والجمالية والقانونية والاجتماعية.

الأمر الذي أفضى إلى تأسيس وعي منهجي حداثي يستند في أطروحاته إلى أجهزة مفاهيمية لها القدرة على إعادة الفهم والقراءة والاشتغال النقدي المتواصل على النصوص والخطابات، وتجاوز القراءات التي ظلت حبيسة الفهوم السطحية أو التي تستند إلى السياق التاريخي أكثر من ارتباطها بالخطاب نفسه، ممّا يؤكد أنّ الأجهزة المفاهيمية للهيرمينوطيقا تتعالى على القراءات التاريخية الواقعة في الفهم الذاتي، ولهذا أكدت الفلسفة الظاهراتية في نظمها الفكرية على ما يسمى بالرد الفينومينولوجي وهو الدفع بالقراءة إلى أقاصي حدود التدليل والكشف والتفكيك.

ويظل الوعي بالهيرمينوطيقا في المنظومة النقدية الجزائرية مرتبطاً بالحدود النظرية والخلفيات الفلسفية والتقاطعات الفكرية بين التراث والحداثة، من جهة والفهوم الموضوعية من جهة أخرى في علاقتها باللغة والترجمات المختلفة والمقولات الفكرية المشكّلة لحدود المنهج والخطاب.

قائمة المصادر والمراجع:

- بارة، عبد الغني: الهرمينوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقل تأويلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
- بازي، محمد، التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات الاختلاف، الجزائر.
- بريمي، عبد الله، السيرورة التأويلية في هرمينوسيا هانس جورد غادامير وبول ريكور، دار الثقافة والإعلام، الإمارات العربية المتحدة.
- تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر، دار كلمة للنشر والتوزيع، أريانة، تونس، ط1، 2005.
- حامد، خالدة: عصر الهرمنيوطيقا أبحاث في التأويل، (إعداد وترجمة وتقديم)، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط1، 2014.
- الحياني، محمود خليف خضير، ما ورائية التأويل الغربي الأصول لمناهج، المفاهيم، ((التاريخية، الإبستيمولوجيا، الأنطولوجيا، النقدية))، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان.

- درويش، حسام الدين، إشكالية المنهج في هيرمينوطيقا بول ريكور وعلاقتها بالعلوم الإنسانية والاجتماعية نحو تأسيس هيرمينوطيقا للحوار، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر.
- ريكور، بول: نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، تر سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
- شوقي الزين، محمد: الإزاحة والاحتمال، صفائح نقدية في الفلسفة الغربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
- غادامير، هانس جورج: فلسفة التأويل، الأصول، المبادئ، الأهداف، تر: محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2006.
- غراندان، جان :المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا، تر: عمر مهيبل، منشورات الاحتلاف، الجزائر، ط1، 2007.
- غوسدورف، جورج، أصول التأويلية، تر: فتحي إنقزو، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، المغرب.
- قاره، نبيهة، الفلسفة والتأويل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- مجلة تأويليات، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، عدد1، الرباط، المملكة المغربية، 2018
- مصطفى، عادل: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2007.
- من النص إلى الفعل أبحاث التأويل، تر محمد برادة، حسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر.
- ناصر، عمارة: اللغة والتأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
- الهرمينوطيقا والحجاج مقاربة لتأويلية بول ريكور، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014.

الهوامش والإحالات

1- هانس جورج غادامير ,فلسفة التأويل, الأصول, المبادئ, الأهداف, تر:محمد شوقي الزين, منشورات الاختلاف, الجزائر, ط2, 2006, ص 61.

2 - المرجع نفسه, ص63-64.

3 - عادل مصطفى, فهم الفهم,مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر, رؤية للنشر والتوزيع, القاهرة, مصر, ط1, 2007,ص 107.

4 - محمود خليف خضير الحياني ,ما ورائية التأويل الغربي الأصول ,المناهج, المفاهيم,((التاريخية,الإبستيمولوجيا, الأنطولوجيا, النقدية)),منشورات ضفاف, بيروت, لبنان, ط1, 2013, ص115.

5 - عادل مصطفى, فهم الفهم,مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر,ص107.

6 - محمود خليف خضير الحياني ,ما ورائية التأويل الغربي الأصول ,المناهج, المفاهيم,((التاريخية,الإبستيمولوجيا, الأنطولوجيا, النقدية)),ص116.

7 - عادل مصطفى, فهم الفهم,مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر, ص 108.

8 - المرجع نفسه, الصفحة نفسها.

9 -محمد محجوب,في شروط التجدّد التأويلي,مجلة تأويليات, مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث,عدد1 ,الرباط, المملكة المغربية, 2018, ص18.

10 - المرجع نفسه, الصفحة نفسها.

11 -محمد المصباحي, الزمن التأويلي ,مجلة تأويليات, ص26.

12 -المرجع نفسه, الصفحة نفسها.

13 - خالدة حامد, عصر الهرمنيوطيقا أبحاث في التأويل,(إعداد وترجمة وتقديم), منشورات الجمل, بيروت, لبنان, ط1, 2014,ص30.

14 - بول ريكور, نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى , تر سعيد الغانمي, المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء, المغرب, ط2,2006, ص118.

15 - خالدة حامد, عصر الهرمنيوطيقا أبحاث في التأويل,(إعداد وترجمة وتقديم),ص34.

16 - بول ريكور, نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى ,ص123.

17 - خالدة حامد, عصر الهرمنيوطيقا أبحاث في التأويل,(إعداد وترجمة وتقديم), ص63.

18 - المرجع نفسه, ص64.

19 - جان غراندان,المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا ,تر: عمر مهيبل, منشورات الاحتلاف, الجزائر, ط1, 2007 ص 49.

20 - بول ريكور, من النص إلى الفعل أبحاث التأويل, تر محمد برادة , حسان بورقية, عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية, القاهرة, مصر, ط1, 2001,ص19- 20.

21 - جان غراندان,المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا ,تر: عمر مهيبل,ص60.

22 - محمد بازي, التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات ,منشورات الاختلاف, الجزائر, ط1, 2010, ص62.

23 - جان غراندان,المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا ,تر: عمر مهيبل,ص60-61.

24 - دايفيد جاسبر, مقدمة في الهيرمينوطيقا, تر: وجيه قانصو, منشورات الاختلاف, الجزائر, ط1, 2007, ص 146.

25 - المرجع نفسه, ص 146-147.

26 - غراندان,المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا ,تر: عمر مهيبل,ص60-61.

27 - المرجع نفسه,ص61.

28 - عادل مصطفى, فهم الفهم,مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر, ص208.

29 - عبدالله بريمي, السيرورة التأويلية في هرمينوسيا هانس جورد غادامير وبول ريكور , دار الثقافة والإعلام, الإمارات العربية المتحدة, ط1, 2010, ص73.

30 - عادل مصطفى, فهم الفهم,مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر ,ص213.

31 - عبدالله بريمي, السيرورة التأويلية في هرمينوسيا هانس جورد غادامير وبول ريكور ,ص75.

32 - عادل مصطفى, فهم الفهم,مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر, ص 215.

33 - نبيهة قاره, الفلسفة والتأويل, دار الطليعة للطباعة والنشر, بيروت,لبنان, ط1, 1998, ص54.

34 - مصطفى, فهم الفهم,مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر

35 - المرجع نفسه, الصفحة نفسها

36 - هانس جورج غادامير ,فلسفة التأويل, الأصول, المبادئ, الأهداف, ص216.

37 - جان غراندان,المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا ص139.

38 - المرجع نفسه,الصفحة نفسها.

39 - جورج غادامير ,فلسفة التأويل, الأصول, المبادئ, الأهداف ,ص125.

40 - عادل مصطفى ,فهم الفهم,مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر ,ص277.

41 - المرجع نفسه, الصفحة نفسها.

42 - محمد شوقي الزين,الإزاحة والاحتمال,صفائح نقدية في الفلسفة الغربية, منشورات الاختلاف, الجزائر, ط1, 2008, ص53.

43 - المرجع نفسه, ص54.

44 - جورج غوسدورف, أصول التأويلية ,تر: فتحي إنقزو, مؤسسة مؤمنون بلا حدود, الرباط, المغرب, ط1 , 2018, ص366.

45 - محمد شوقي الزين,الإزاحة والاحتمال,صفائح نقدية في الفلسفة الغربية,ص54.

46 - المرجع نفسه, الصفحة نفسها.

47 - المرجع نفسه, ص57.

48 - حسام الدين درويش, إشكالية المنهج في هيرمينوطيقا بول ريكور وعلاقتها بالعلوم الإنسانية والاجتماعية نحو تأسيس هيرمينوطيقا للحوار, المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, الدوحة, قطر, ط1, 2016,ص245-246.

49 - عمارة ناصر ,اللغة والتأويل مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي , منشورات الاختلاف, الجزائر, ط1 , 2007, ص 15.

50 - نبيهة قاره, الفلسفة والتأويل, ص22.

51 - عمارة ناصر ,اللغة والتأويل مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي, ص58.

52 - المرجع نفسه, الصفحة نفسها.

53 -عبد الغني بارة ,الهرمينوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقل تأويلي,منشورات الاختلاف,الجزائر, ط1, 2008, ص207.

54 - المرجع نفسه, ص 257.

55 - عمارة ناصر ,اللغة والتأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي,ص 19.

56 - المرجع نفسه, ص265-266.

57 - عبد الغني بارة ,الهرمينوطيقا والفلسفة,ص260.

58 - المرجع نفسه,ص 263.

59 - عمارة ناصر, اللغة والتأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي,ص 23.

60 - المرجع نفسه,ص24.

61 - محمد شوقي الزين,تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر, دار كلمة للنشر والتوزيع, أريانة ,تونس, ط1 , 2005, ص61.

62 - المرجع نفسه, ص82.

63 - حسام الدين درويش, إشكالية المنهج في هيرمينوطيقا بول ريكور وعلاقتها بالعلوم الإنسانية والاجتماعية نحو تأسيس هيرمينوطيقا للحوار ,ص 36.

64 -- محمد شوقي الزين,تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر, ص82.

65 - عمارة ناصر,الهرمينوطيقا والحجاج مقاربة لتأويلية بول ريكور, منشورات الاختلاف, الجزائر, ط1, 2014, ص62.

66 - المرجع نفسه, الصفحة نفسها.

67 - حسام الدين درويش, إشكالية المنهج في هيرمينوطيقا بول ريكور وعلاقتها بالعلوم الإنسانية والاجتماعية نحو تأسيس هيرمينوطيقا للحوار, ص256.

68 - عمارة ناصر,الهرمينوطيقا والحجاج مقاربة لتأويلية بول ريكور, ص 359.

68 - عبد الغني بارة, الهرمينوطيقا والفلسفة,ص353.